

Résumé :

On ne peut pas parler d'une pratique pédagogiques quel que soit le genre au sein du système d'enseignement sans aborder la situation pédagogiques ou ce qu'ont appelle le triangle pédagogique, et nous ne pouvons étudier l'un de ses composants indépendamment du reste des autres éléments, compte tenu de l'interdépendance qui combine ses éléments d'une part et les diverses relations communicatives et interactives qui surviennent dans son cadre d'autre part.

Étant donné que le processus de communication est classé parmi les plus apparents tant en ce qui concerne la relation entre l'apprenant et l'enseignant, ou entre les élèves eux-mêmes, il était nécessaire d'étudier les différents styles de communications au sein de ce triangle pour déterminer les diverses formes de communications qui caractérisent le processus éducatif, ou afin de déterminer leur efficacité, en soulignant son impact sur le rendement scolaire.

Les intérêts de nombreux chercheurs ont portées essentiellement sur l'analyse du comportement verbal de l'enseignant comme étant l'initiateur du processus de communication et le plus important contribuable à la création de l'interaction au sein de la classe, par le biais de styles de comportements adoptés par l'exercice de ses fonctions, qui ont pour but d'activer le rôle de l'élève au sein du triangle pédagogique et de rendre constructive sa participation à la recherche de la connaissance.

المـلخص

لا يمكن أن نتحدث عن أي ممارسة بيداغوجية مهما كان نوعها داخل المنظومة التربوية دون التطرق إلى الوضعية البيداغوجية، أو ما يعرف بالمثلث البيداغوجي، والذي لا نستطيع دراسة أحد مكوناته بمعزل عن باقي العناصر الأخرى، نظرا للترابط الذي يجمع بين عناصره من جهة، ومختلف العلاقات الاتصالية والتفاعلات التي تنشأ في إطاره من جهة أخرى.

وبما أن العملية الاتصالية تصنف من ضمن العمليات الأكثر بروزا والأكثر سيطرة سواء فيما يخص العلاقة بين المتعلم والأستاذ، أو بين التلميذ أنفسهم، كان لا بد من الاهتمام بدراسة مختلف الأنماط الاتصالية التي تجري داخل هذا المثلث لتحديد مختلف النماذج الاتصالية التي تتسم بها العملية التعليمية، أو لتحديد مدى فعاليتها، وإبراز انعكاساتها على الأداء البيداغوجي لكل من الأستاذ والتلميذ.

وقد انصبت اهتمامات العديد من الباحثين على السلوك اللفظي للأستاذ باعتباره المبادر في العملية الاتصالية والمساهم الأكبر في إرساء التفاعل داخل القسم، من خلال الأنماط السلوكية التي يتبناها أثناء تأدية مهامه، والتي تهدف إلى تفعيل دور التلميذ داخل المثلث البيداغوجي، وجعل مشاركته في البحث عن المعرفة مشاركة بناءة.

مقدمة

احتلت كل المسائل المتعلقة بالنشاطات التعليمية من أهداف وبرامج وطرق ومناهج ووسائل تعليمية الصدارة في كل الأبحاث والنقاشات والندوات التربوية من أجل تحسينها وتطويرها ثم استغلالها أحسن استغلال للنهوض بالعملية التعليمية إلى مستوى الأداء الأمثل الذي يضمن تحقيق فعالية أي نظام تربوي، فتعالت الصيحات في حقل الفعالية التربوية منادية بتحسين الممارسات التربوية بالمؤسسات التعليمية بما يتماشى والتقدم الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي للمجتمع، حتى تكون أكثر عقلانية وترشيدا وأحسن كفاءة، فاختلفت بذلك المعايير التي تسمح بتقييم مدى فعالية هذه المؤسسات ولكنها مع ذلك تشعبت لتشمل بالدراسة والبحث كل العناصر المتداخلة التي يمكن أن تؤدي إلى تحسين المستوى التعليمي في كل مؤسسة تربوية، بل والرقى بها إلى مستوى النجاعة، على اعتبار أن المدرسة لا يجب أن تضمن التعليم فقط وإنما التربية كذلك.

وباعتبار أن المدرسة هي الهيئة الوحيدة المؤتمنة على رأس مال بشري هام فهي بذلك تشكل حقلا تربويا تتلاقى فيه كل العناصر التي من شأنها أن تساهم في تحقيق الأهداف المتمثلة في التعليم والتربية والتكوين، لتكون هذه العناصر في نهاية المطاف مثلنا بيداغوجيا يصبح التعليم من خلاله لا يمثل علاقة ثنائية الأقطاب، أين يكون الأستاذ هو الذي يعرف والتلميذ هو المعنى بتوصيل المعرفة، وإنما هي علاقة ثلاثية الأقطاب. (Barlow .M,1999, p32)

1- تحليل الممارسات والمهام داخل الوضعية البيداغوجية

وقد اعتمد Legendre في معجمه التربوي وجهة نظر نسقية تسمح بتحليل الممارسة البيداغوجية، حيث وضح الأقطاب الثلاثة المكونة للوضعية

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

البيداغوجية والتي تبرز كل من الأستاذ والتلميذ والمحتوى الدراسي، والعلاقات المتداخلة بين العناصر الأساسية لها ومن بينها: (Legendre.R, 1993, P486)

علاقة تعليمية : (التلميذ والأستاذ)

علاقة تعلم: (التلميذ والمحتوى)

علاقة ديداكتيكية: (الأستاذ بالمحتوى)

وجهة النظر هذه تؤكد على أن العملية التعليمية متناسقة، يشكل كل عناصرها نوعا من الترابط الدائم، بحيث لا نستطيع أن نتطرق بالدراسة والبحث للوصول إلى أحكام تقييمية بمجرد تحليلنا لعنصر واحد، فحسب مفهوم المثلث البيداغوجي الذي يشكل حلقة تعليمية تتربط كل أجزائها من خلال علاقات تفاعلية مستمرة، فإن تحسين الأداء البيداغوجي يقترن في هذه الحالة بملاحظة وتحليل وضعية ودور كل عنصر داخل هذا المثلث، ثم التطرق إلى مدى فعالية العلاقات القائمة بين هذه العناصر، ومدى التأثير الذي يحدثه كل عنصر على الآخر.

كما حدد Houssaye هذه الأقطاب مبرزا طبيعتها وخصائصها وأدوارها بالإشارة إلى :

المعلم: باعتباره المدرس، المكون، المربي، والمبادر بالاتصال في قسمه.

المعرفة: وتصف المحتويات، القواعد، المناهج، البرامج، والمكتسبات.

التلميذ: باعتباره المتعلم، المتكون، المتلقن، والمتربي.

وحسبه فإن دور الأستاذ في هذا المثلث هو الأهم إذ يشكل العصب المحرك لكل النشاطات الضرورية لتسيير القسم وسير عملية التعلم فهو المسؤول عن:

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

— صياغة الدرس

— اختيار المحتويات التي يدرسها وطرق التعلم.

— وتيرة تقدم التلميذ.

— أساليب التقويم.

— العمل الشخصي للتلميذ.

ويشكل التلميذ حسبه المستجيب للإثارة التي يقدمها الأستاذ لأن أغلبية المبادرات تأتي من طرفه، فهو الذي يفرض معرفته الخاصة التي شكلها، مما يحول دون حصول أي تبادل فعلي بينه وبين التلميذ، هذا الأخير الذي يعتبر من هذا المنظور مجرد متلقي لكل نشاط يصدر عن الأستاذ، وتدخلاته محكوم عليها بالموت داخل المثلث البيداغوجي . (Lifa NE, 2002, p 85)

هذا وقد أكد الباحث Jackson.P على الجانب المعرفي الذي يمتلكه الأستاذ وكيفية إيصال المعرفة إلى التلاميذ وتحديد كليات وأوقات تدخل الأستاذ على اعتبار أنه صانع القرار، يُفهم طلبته، ويتفهمهم، قادر على إعادة صياغة المادة الدراسية، وتنظيمها بشكل يسهل على الطلبة استيعابها، يعرف ماذا يعمل، ويعرف متى يعمل. (محمد عبد الرحيم عدس، 2000، ص35)

تتقارب أفكار كل من Jackson، وHoussaye، في تركيزهما أثناء تحديد مهام العناصر الفاعلة داخل المثلث البيداغوجي على الدور الذي يقوم به الأستاذ داخل القسم باعتباره الشخص الذي يمتلك الكم الهائل من المعلومات والخبرات وهو المسؤول الوحيد عن سير عملية التعلم عن طريق المبادرات التي يقوم بها والنشاطات التي يبرمجها خلال الحصص التعليمية، ويمثل التلميذ هنا مجرد متلقي لهذه المعارف.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

كما أكدت Altet (1988) في مقالها حول "أنماط التعليم" على أهمية دور الأستاذ واصفة إياه بالعنصر المفتاح في المثلث البيداغوجي، محددة مهامه انطلاقاً من سيوريتين ترتبط إجمالاً بكل النشاطات الممارسة في القسم، ليعتمد عليها كمواعير أساسي في بناء البرامج الخاصة بالتكوين المهني. (Lifa NE, 2002, p 86_87)

فمن خلال السيورورة — يُدرس: توضح العلاقة بين الأستاذ والمعرفة، من خلال الكيفيات التي يتبناها الأستاذ لتحويل المعلومات إلى التلاميذ، والتطبيقات التي يضعها في متناولهم أثناء نقل وتحويل المعرفة.

وتوضح من خلال السيورورة — يُكون: العلاقة بين الأستاذ والتلميذ من خلال مجموع الممارسات العلائقية المتبناة في القسم.

ويعتبر التلميذ حسبها هو المنتج لمختلف السلوكات البيداغوجية التي يديها كردود أفعال مباشرة لمختلف التحفيزات والأنماط والأساليب المعتمدة من طرف الأستاذ أو تحت تأثير الوظائف التعليمية التي ينجزها في القسم، وعلى هذا الأساس حددت الوضعيات الثلاث التي يمكن للتلميذ أن يتواجد فيها خلال الحصّة التعليمية مبيّنة الأسباب المؤدية إلى تواجد التلميذ بتلك الوضعية، ومختلف الاستجابات التي يظهرها خلال العملية التعليمية.

- فإما أن يكون في وضعية <مستهلك_ مستقبل>: وتتحقق في هذه الوضعية عندما يكون الأستاذ هو الوحيد المسؤول عن المعرفة، وهو الوحيد الكفيل بخلق وضعيات تعليمية أين التلميذ يصبح مجرد متلقي للمعارف، ونتيجة لهذا النمط من التعليم يدي التلميذ عدة أنواع من الأنماط السلوكية وهي: يستمع، يلاحظ، يعطي الإجابة، يتفاعل مع تعليمات، يعيد الإجابة، يعطي تفسير، يعلل إجابته، يطبق، يحل التمرين، ينفذ، يأخذ رؤوس أقلام، يستعمل المعلومة المعطاة، لا يجيب أبداً.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

- وإما أن يكون في وضعية <منتج _ معبر> عندما توفر له استراتيجيات تعلم تجعل منه محل إنتاج لا مجرد مستقبل للمعلومات، ومن خلالها ييدي التلميذ السلوكات البيداغوجية الآتية: يبحث، يكتشف، يتحسس، يطرح السؤال تلقائيا، يقترح إجابة تلقائيا، يحضر أفكار، مبادرات، يحل مشاكل، يوجه تبادل الأفكار مع تلاميذ آخرين، يطلب المساعدة، يعطي رأيه، ينجز فرضية، يبرهن، يحكم، يقيم.

- كما يمكن أن يجمع التلميذ بين الوضعتين، مما يؤدي إلى ظهور تنوع في الاستجابات والسلوكات التي يبرزها تبعا لمختلف المواقف التعليمية. وطبيعة الأنماط الاتصالية التي يتبناها الأستاذ.

فالباحثة إذا ركزت على دور التلميذ من خلال مشاركته في البحث والاستكشاف للوصول إلى حقيقة المعارف، بالإضافة إلى الدور الفاعل للأستاذ في نقل المعرفة، والذي يعتبر في هذه الحالة المحفز الأكبر لنشاط التلاميذ من خلال العلاقات التي يرسمها معهم.

الاختلاف في التوجهات النظرية عند هؤلاء العلماء يشير إلى تقاربها مع مفاهيم ومعطيات كل من البيداغوجيا التقليدية والبيداغوجيا النشيطة التفاعلية، بحيث تعتمد الأولى على المعلم في توفير المعرفة، تلقينها وتبليغها وفقا لتدرج ديداكتيكي صارم وخطوات منهجية مضبوطة، ويكتفي خلالها المتعلم بالتلقي السلبي للمعرفة. في حين تشير المقاربة الثانية إلى استقلالية المتعلم في بناء المعرفة على أساس أن عملية التعلم ليست مجرد سيرورة ذهنية بل سيرورة تفاعل بين الأفراد وإعطاء الدور المركزي للمتعلم، بالتمركز حول نشاطه الذاتي، والانطلاق من حاجاته واهتماماته ومنحه حرية المبادرة، وفي المقابل نجد أن التدخل الوحيد للمعلم يقيم في حدود الدعم البيداغوجي الذي يقدمه للتلميذ، وهو الدور

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

الذي يرى أصحاب هذه البيداغوجيا بأنه تعزز أكثر داخل الوضعية البيداغوجية
ويحتاج إلى إعادة تحديد معالمه وفق متطلبات العملية التعليمية/التعليمية. (فريد بياض،
2010، ص58)

كل هذه الاعتبارات السابقة تشير إلى حجم المهام المسندة للأستاذ وتؤكد
ثقل مركزه في المثلث البيداغوجي، ولهذا فقد شغل هو الآخر حيزا معتبرا ضمن
اهتمامات الباحثين في مجال الفعالية البيداغوجية بهدف تحسين آدائه البيداغوجي
داخل المؤسسات التعليمية، وجعله المساهم الأكبر في تحقيق الكفاءة المطلوبة، فمنها
من تطرق بالتحليل والدراسة إلى السبل الكفيلة بتحسين عملية تكوينه تكويننا نظريا
وتطبيقيا يمكنه من مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي السريع واكتساب أحسن
المهارات والأساليب الممكنة لتحقيق التدريس الفعال.

ومنها من ذهب إلى محاولة قياس مدى قدرته على مجابهة مختلف المشاكل
البيداغوجية التي تعترض السير الحسن للمسيرة التعليمية، والسبل والحلول الممكنة
التي يختارها من أجل ضمان نجاعة وفعالية أكبر للممارسات التعليمية، بالإضافة إلى
مدى قدرته على إحداث التعديل المطلوب في سلوك تلاميذه، فقد أصبحت فعالية
الأستاذ تعرف انطلاقا من مدى التقدم الذي أحرزه تلاميذه، ومظاهر التحسن في
مستواهم التحصيلي، فتقييم فعالية الأستاذ من خلال هذا الاتجاه تتطلب دراسة
سلوك تلاميذه بما في ذلك التغيير الذي يحدث عليهم، بدلا من دراسة سلوكه هو،
على اعتبار أن السلوكات التي يتقمصها الأستاذ لا تؤدي بالضرورة إلى نتائج
إيجابية. (محمد عبد الرحيم عدس، 2000، ص 35)

وقد اهتم البعض الآخر بتطوير مختلف النظريات الاجتماعية والتربوية
والنفسية التي تفسر الفعل الاتصالي داخل المثلث البيداغوجي، وتنصب خلاصة هذه

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

الأبحاث في محاولة معرفة مدى فعالية العلاقات الاتصالية بما في ذلك كل العناصر والمكونات التي تساعد في تحقيق الأهداف المنتظرة من عملية الاتصال داخل المؤسسات التربوية، كما تعتبر الركيزة الأساسية للنشاطات التعليمية التي ترمي إلى تحقيق الأهداف التربوية، وعاملاً مهماً في عملية نقل المعارف والخبرات، وبالتالي كان لا بد من الاهتمام بكيفية إيجاد أحسن السبل الكفيلة بتحقيق التواصل الفعال داخل المؤسسات التعليمية.

إذ أن هذا النظام الذي تتشكل بداخله عملية اتصال بين الأستاذ والتلميذ والمعرفة، والتي تعتبر الرباط الأساسي بينهما، يساعد على ظهور العديد من التحليل البيداغوجية التي تتشعب بتشعب العلاقات التي تنشأ بداخله، مثل تلك التي تناول العلاقة البيداغوجية، العلاقة التعليمية، العلاقة الاتصالية داخل هذا النظام. (محمد عبد الرحيم عدس، 2000، ص42)

2- العمليات الاتصالية بالمثلث البيداغوجي

أشار J.C.Filloux إلى العلاقة التربوية واصفاً إيها بذلك التعامل والتفاعل الإنساني الذي يتم بين أفراد يوجدون في وضعية جماعة، وإذا ما اعتبرنا أن الفضاء الذي تحدث فيه عمليات التعلم هو في الغالب الفصل الدراسي فمن الواضح أن نؤسس داخل هذا الفضاء علاقات دينامية بين المدرس والمتعلمين، تتخذ شكل انخراط في عملية تواصل مركبة، وتبليغ للرسائل وتبادلات وجدانية وعمليات استكشاف (محمد آيت موحى، 2009، ص11)

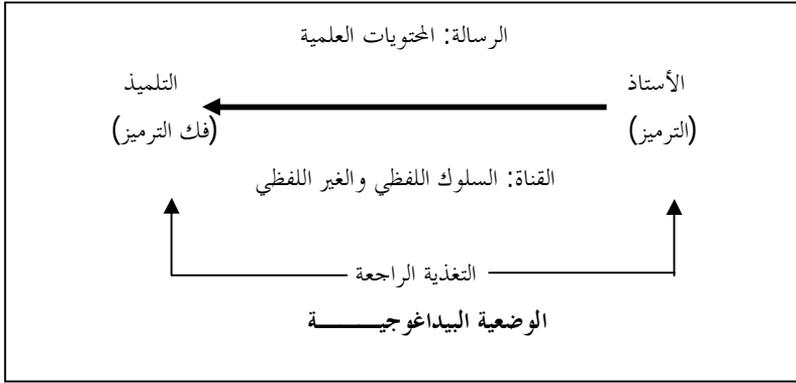
ويعبر الاتصال عن كل ما يحدث بين طرفي الاتصال من أخذ وعطاء حول الرسائل التعليمية وما يصاحبه من تغذية راجعة، وبما أن القسم هو نظام اجتماعي يجمع الأستاذ بتلاميذه في إطار ممارسة مختلف النشاطات التعليمية لتحقيق أهداف

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

محددة، فإنه بذلك يعتبر عالماً مصغراً من عوالم الاتصال، بحيث يمكن تحديد أبعاده من خلال العلاقات التفاعلية التي تنشأ بين الأطراف المشاركة (الأستاذ والتلاميذ، والتلاميذ فيما بينهم). (Postic.M, De Ketele.JM, 1988, P 83)

وعلى هذا الأساس يمكن دراسة وتحليل الوضعية البيداغوجية من وجهة نظر اتصالية بدءاً بتحديد مكوناتها، في إشارة إلى الأستاذ باعتباره المرسل والتلميذ بصفته المتلقي لمختلف الرسائل الاتصالية المرتبطة بالمحتوى البيداغوجي الذي يضمن وجود هذه العلاقة ضمن الظروف البيئية المحيطة وعبر قناة محددة تتمثل في كل السلوكات اللفظية والغير اللفظية المتداولة بالقسم، ثم إبراز كيفية انتقال المعلومة ثانياً، بالإشارة إلى الشفرة أو ذلك النظام المكون من مجموعة القواعد والرموز التي تربط بين الإشارات، فالعملية التي تسمح للمرسل باستعمال رمز أو عدة رموز من أجل تحويل رسالته التي تعبر عن غرضه في الاتصال تسمى بالترميز (Codage) وفي الجهة المقابلة نجد أن العملية التي تسمح للمستقبل باللجوء إلى الرموز من أجل فهم الرسالة تسمى بفك الترميز (Décodage) (Arcand.B, Bourbeau.N, 1998,) (P14) مما يؤدي إلى حصول التغذية الراجعة feed-back والتي تعتبر قلب الاتصال، إذ تسمح للمستقبل بالتفاعل مع الرسالة تتيح للمرسل فرصة التعرف على الكيفية التي استقبلت بها رسالته وتقويمها.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة



وقد اهتم المختصين في اللسانيات بدراسة السيرورة الاتصالية في القسم من زاويتين: الأولى: وتعلق بالسيرورة الاجتماعية_اللغوية، والتي تهتم بدراسة الاختلافات اللغوية ما بين الوسط الثقافي الأصلي للمدرسة على الاندماج المدرسي للأطفال من أوساط مختلفة، والثانية ترتبط بالسيرورة النفسية_ اللغوية التي تهتم بدراسة الظواهر الاتصالية في القسم والكشف عن النماذج الاتصالية.

فمن جهة تحاول هذه الأبحاث التركيز على دراسة تأثير الاختلافات اللغوية (حسب الانتماء الاجتماعي) باعتبارها وسيلة اتصالية تساعد على التكيف داخل المدرسة، ومن جهة أخرى تحاول دراسة الظواهر الاتصالية التي تحدث وتأثيرها مباشرة على التلميذ في محاولة لإيجاد أنماط سلوكية معتمدة للتواصل الفعال بين الأستاذ والتلميذ. (عبد الرحمن صالح الأزرق، 2000ص35)

ولإرساء قواعد التواصل الفعال داخل القسم لا بد من الارتكاز على مجموعة من المقومات كالتخطيط الجيد للاتصال، بانتقاء الوسيلة التي تتوافق مع موضوعه ومع طبيعة المتلقين لها، بالإضافة إلى امتلاك المعلم لمهارة عالية في الإصغاء

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

والتحدث، والقدرة على التنويع من الاستراتيجيات التي يتبناها خلال الدرس مثل الشرح وطريقة طرح الأسئلة واستحداث المناقشة وتحديد المكان والزمان المناسبين لعملية الاتصال بما يتماشى وأهداف النشاطات التعليمية المرجحة، والاعتماد على نتائج التقويم الذي يجريه المعلم باستغلال مفهوم التغذية الراجعة للتأكد من وضوح الاتصال وتحقيق الهدف المرجو منه. (رافدة الحريري، 2010، ص91)

فتحقيق الأهداف التعليمية التي يسطرها الأستاذ مقرونة بطبيعة النشاطات التعليمية التي يختارها والتي تتماشى والمميزات الخاصة للتلاميذ بما في ذلك الفروقات الفردية على المستوى المعرفي والاجتماعي، وكذلك المميزات الخاصة التي تطبع المحيط من جهة، والاستراتيجيات التي يتبناها الأستاذ من أجل إيصال المعارف إلى التلاميذ من جهة أخرى.

3- موقع السلوك اللفظي للأستاذ في العملية الاتصالية

يرى Werckmann : بأن الأستاذ حتى يكون قادرا على أن يدرس يجب عليه الإلمام ليس فقط بمجال اختصاصه ولكن حتى التعليمية (Didactique) في تخصصه الشيء الذي يتوافق و فن توصيل المعارف، بمعنى رسم وضعيات تعليمية، ولكن هذا ليس كل شيء لأنه يجب عليه أن يعرف كذلك كيف يقود قسمه، وهذا ما يتوافق ومفهوم الاتصال البيداغوجي ما بين التلميذ كمتلقن، والأستاذ. (ميلود جيببي، 1993، ص 75)

فإذا كانت كلمة يربي معناها في التربية يحسن، يكون، ويهذب فإن الأستاذ هو ذلك البيداغوجي الذي يقود تلاميذه، فهو المدرب، والمدرس، الذي يملك مهارة الاتصال مع التلاميذ وهو المكون (Cordié.A, 1998,p410)

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

وإذا كان الاتصال اللفظي يشير إلى كل أنواع الاتصال التي يستخدم فيها اللفظ كوسيلة لنقل رسالة من المصدر إلى المتلقي، إذ يجمع بين الألفاظ المنطوقة والرموز الصوتية الأخرى كتغيير نبرة الصوت مثلا، من أجل توصيل الفكرة أو المعنى، (محمد محمد عمر الطنوبي، 2001، ص 27) فإن إمكانية دراسته وملاحظته تتم بشكل أسهل مقارنة بالسلوك الغير اللفظي، وقد أكدت معظم الدراسات في حقل التربية وعلم النفس أن السلوك اللفظي للفرد يمثل عينة ممثلة للمجموع الكلي لسلوكاته، فهو من أكثر أنماط السلوك السائدة في القسم، والمحرك الأساسي لعملية التفاعل التي تحدث بين مختلف الأجزاء الفاعلة في العملية الاتصالية.

وبما أن الأستاذ هو المشرف على العملية الاتصالية، لأنه صاحب المبادرة، فإن نمط التواصل داخل القسم يمكن تحديده انطلاقا من السلوك اللفظي للأستاذ والذي يجوي نوعين من المعلومات الأولى تتعلق بالمحتوى، والأخرى أكثر خصوصية وتشير إلى المميزات الشخصية التي تخلق الجو العلائقي الذي يضمن التماسك والثبات داخل القسم حسب ما صرح به Postic.M, De Ketele.JM, (1988, P 87) فاعتماد الأستاذ على مختلف الأنماط الاتصالية المشجعة على التواصل الدائم يؤدي إلى تحقيق التفاعل الايجابي بينه وبين تلاميذه، وهذا ما ينعكس مباشرة على تحسین المستوى التعليمي.

إن الجمل التي يصدرها الأستاذ من خلال النشاطات التي يقوم بها خلال درسه تعتبر من جهة كوحدة لتحليل سلوكه اللفظي، ومن جهة أخرى فهي تستغل لمعرفة مدى تأثير مختلف سلوكاته اللفظية على التلاميذ خلال كل حصّة تعليمية، سواء كانت هذه السلوكات مشجعة للعمل الشخصي للتلاميذ، أو مساعدة على إدماجهم في مختلف النشاطات أو محفزة لهم على البحث والتفكير، ومن ثمة تهيتهم

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

للتفاعل بصفة إيجابية مع الأستاذ، وهذا ما يسمى في سياق آخر بنمط التعليم الغير مباشر.

وبالعكس فإن السلوك اللفظي للأستاذ يمكن أن يكون عائقا أمام عملية التواصل الفعالة، بحيث يجعل من التلميذ مجرد خزان للمعلومات التي يملكها فقط، وهذا ما يجعل التلاميذ غير قادرين على المشاركة في مختلف النشاطات نظرا لعدم قدرتهم على التفاعل مع الأستاذ، مما ينعكس بشكل كبير على مستوى تحصيلهم، ويندرج هذا النوع من السلوكات ضمن الأنماط التعليمية المباشرة. (Lifa NE,) (2002, p92)

فالسلوك اللفظي للأستاذ لا يجب أن يقتصر على مجرد إرسال وتزويد التلاميذ بالمعلومات التي يريد إكسابهم إياها، بل يجب على الأستاذ أن يجعل من سلوكه اللفظي الموجه لتلاميذه مجالاً خصباً بما يجمله من خصائص تسمح بخلق وتحديد استراتيجيات تعليمية وأنماط سلوكية تتوافق ومبادئ الاتصال الفعال من جهة وتنوعها حسب النشاطات التعليمية التي يؤديها داخل القسم من جهة أخرى، وهذا من أجل تحفيز التلاميذ على المشاركة الفعالية عن طريق إقحامهم في عملية تواصل متبادلة وبالتالي إضفاء جو من التفاعل في النهاية بالوصول إلى تحقيق الأهداف التعليمية المرجحة وتحسين المستوى التحصيلي للتلاميذ.

وفي هذا المجال سعى Gorden إلى تحديد مجموعة من محفزات الاتصال

اللفظي والتي يجمعها في 4 فئات وهي: (Gorden.T, P, 109-111)

1_ الاستماع بصمت: L'écoute passive وتضم في الغالب رسائل غير

لفظية توحى للتلميذ بأن الأستاذ يستمع إليه.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

— إذ يشجع التلميذ على متابعة التعبير الحر الذي شرع فيه، ولكنه لا يرضي احتياجاته إلى إقامة اتصال متبادل مع الأستاذ.

— كما أن الأستاذ في هذه الحالة لا يقاطع التلميذ، الذي لا يدركما إذا كان أستاذه مصنع حقيقة إليه أم لا، ولا يوجد دليل يؤكد له بأن الأستاذ قد فهمه.
— يجعل التلميذ يحس بأنه نسبيا مقبول، ولكن إذا حافظ الأستاذ على صمته فإن التلميذ قد يظن بأن الأستاذ يحكم عليه داخليا.

2_ رسائل الاستقبال: Les messages d'accueil الأستاذ يحافظ على الصمت ويشير إلى التلميذ بواسطة رسائل غير لفظية وأخرى لفظية مختصرة جدا، مثل: حركة الرأس، أو التوجه نحو التلميذ، أو الابتسامة، أو أن يقول: "نعم، آه، أرى ذلك"، تتميز هذه الرسائل عن غيرها بكونها الأكثر تلاؤما وفعالية من الصمت، فهي توحى للتلميذ بأن الأستاذ يمنح له كل اهتمامه واتباهه.
ولكن حتى وإن كانت هذه الرسائل التي يوجهها الأستاذ لا تكسر الاتصال الذي يستمر، فإنها أيضا لا تسهله بالقدر الكافي، كما أنها لا تبرهن للتلميذ بأن الأستاذ قد فهمه حق المعرفة.

3_ الدعوات الحارة: Les messages chaleureuses

التلاميذ يحتاجون في بعض الأحيان إلى التشجيع من أجل ترغيبهم في المشاركة أكثر، باستخدام رسائل تسمى بالدعوات الحارة، كأن يقول الأستاذ مثلا: "إيه مهم جدا ما تقوله" " ما تقوله يهمننا جدا" ومن مميزات هذا النوع من الرسائل أنها:

— تؤكد للتلميذ بأن الأستاذ مستعد للاستماع إليه، وأنه يخصص كل وقته من أجل مساعدته.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

— تسمح بتكسير الجمود ومباشرة المناقشة مع التلميذ.
— مساعدة التلميذ على التعبير عن المشكل الذي يواجهه.
— ورغم أن هذه التشجيعات تساعد على الاتصال، فإنها لا تدعمه بالقدر الكافي، خاصة إذا وضعت في غير محلها لأن التلميذ يمكن أن يعتبرها بدون فائدة.

4_ الاستماع النشط l'écoute active

كل أنواع الرسائل السابقة إذا لا تؤكد للتلميذ بأن الأستاذ يفهمه جيدا، بل تتوقف عند مجرد التأكد من وجود الاستماع، أما في هذه المرحلة يحدث تبادل للرسائل التعليمية بينهما فنحصل من خلاله على التغذية الراجعة أين التلميذ يستطيع أن يعبر جهارا وبكل حرية، ومن مميزاته أنه:

— يحفز عملية الاتصال ويوضح المشاعر، ويساعد التلميذ على التخلص من الخوف والشعور بأن انفعالاته طبيعية، وبالتالي يتعلم كيف يتكيف معها.
— يُسهل للتلميذ تحليل مشاكله القاعدية، ويضمن في النهاية اكتشاف مشاكل التعلم التي يواجهها مباشرة، وإيجاد الحلول المناسبة لها.
— يُهيئ التلميذ مسبقا للاستماع بسهولة للأستاذ، ويضمن علاقة متينة بينهما مبنية على الاحترام والتقدير المتكامل.

4- تصنيف مهام الأستاذ من خلال مفهومي الاتصال والتفاعل اللفظي:

يعد مفهوم الاتصال ومفهوم التفاعل الصفي مفهوميين جديدين نسبيا في الإطار التربوي والتعليمي، فقد بدأ الاهتمام بهما يزداد ما بين عامي (1960-1970)، فإذا كان مفهوم الاتصال يشير إلى عملية نقل المعلومات من المرسل إلى المستقبل، بحيث تتضمن أكثر من طريقة واحدة لانتقال المعلومات، وهي عملية معقدة قد يحدث فيها تغيير للمحتوى المعرفي ومعانيه، فإن التفاعل الصفي يتضمن

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

بالإضافة إلى الاتصال الفكري، الاتصال الانفعالي، الذي غالبا ما يتم إهماله. (محمد
عوض الترتوري، محمد فرحان القضاة، 2006، ص128-129)

فالتفاعل هو حالة داخلية تتولد لدى الفرد وتدفعه إلى التيقظ والانتباه
للموقف التعليمي، لذا فإن من واجب المعلم خلق دافع التفاعل اللفظي بينه وبين
تلاميذه بغية التعرف على مواهبهم وميولاتهم واتجاهاتهم وقدراتهم وطرق التفكير
لدى كل واحد منهم، ومن ثمة توظيفها لخدمة العملية التعليمية. (رافدة الحريري،
2010، ص56)

وبما أن الأستاذ يعتمد على سلوكه اللفظي أكثر من أنماط السلوك
الأخرى، بحيث يشكل حلقة الوصل مع تلاميذه أثناء تأدية مهامه في القسم، فقد
ركزت العديد من الدراسات والأبحاث على تحليل وتصنيف هذه السلوكيات
اللفظية حسب مجموع المهام والوظائف التي يؤديها الأستاذ من ناحية، ومدى
تحقيقها للتفاعل اللفظي الإيجابي للوصول إلى الفعالية في آدائه داخل القسم من
ناحية أخرى، ومن بينها:

1_ أبحاث Flanders: 1965 وتعتبر من أهم الأبحاث في حقل التربية والتعليم وفي
مجال تكوين المعلمين، فقد حاول من خلال أعماله تحليل التفاعلات التي تجري
خلال حصة تعليمية معينة وذلك بالتمييز بين المعلم المباشر الذي لا يسمح للتلاميذ
بالتفاعل والمشاركة، عكس المعلم الغير مباشر والذي يحافظ على درجة من الحرية
التي تسمح للفرد بالتفكير والمشاركة الفعالة، وقد صنف التفاعل اللفظي في القسم
إلى 3 مجالات وهي: (نوال العشي، 2008، ص 95)

— كلام المعلم الغير مباشر والمباشر.

— كلام التلميذ.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

— المحور الخاص بالسكوت، أو الفوضى

2_ الدراسة الخاصة بكل من Delandshere و Bayer (1969) والتي تخص أقسام
للسنوات الأولى في المدارس الأساسية البلجيكية، فمن خلال الاعتماد على
الملاحظة العلمية تم رصد مجموعة من السلوكيات اللفظية التي يصدرها الأستاذ
خلال القيام بدرسه وفي وقت محدد، وقد صنفت هذه السلوكيات في 9 فئات
كبرى حسب الوظائف التعليمية التي يقوم بها وهي: (Lifa.NE, 2002, P90)

— الوظائف التنظيمية Fonctions d'organisation وتضم مشاركة التلاميذ،
تنظيم تحركات التلاميذ في القسم، تحديد وضعية العمل وترتيب المهام....إلخ.

— الوظائف المفروضة Fonctions d'imposition وتضم المعلومات التي يقدمها
عرض المشكلات البحثية، طرق الحل، يعطي رأيه، أو يقدم مساعدة....إلخ

— الوظائف التطويرية Fonctions développement وتبرز من خلال التحفيز،
المشاركة في مساعدة التلميذ وتوجيههإلخ

— الوظائف الشخصية Fonction personnalisation فالأستاذ هنا يستقبل التعبير
الشخصي للتلاميذ، يترجم وضعية شخصية، يدعو التلميذ إلى التحدث عن تجربته
الشخصية.

— وظائف التغذية الراجعة الإيجابية Fonctions de feed back positif وتحقق
بإبداء الموافقة للتلميذ عن طريق إعادة إجابته بطريقة خاصة ترضيه.....إلخ.

— الوظائف الملموسة: Fonctions de concrétisation مثل استعمال أجهزة خاصة
بتقديم الدرس، استعمال الإمكانيات السمعية البصرية.

— الوظائف الانفعالية الإيجابية Fonctions d'affectivité positive مثل المدح،
التشجيع، المكافآت.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

— الوظائف الانفعالية السلبية Fonctions d'affectivité négative مثل الانتقادات،
السخرية، الإنذارات، التأنيب، التوبيخات.....إلخ.

3_أبحاث Joyce(1972) : ينطلق الباحث في دراساته من محصلة الأبحاث التي
أجرها Flanders معتمدا في ذلك على مقاربتين (المباشرة والغير مباشرة) من أجل
الوصول إلى تحديد درجة المرونة لدى الأستاذ، وانعكاساتها على الفعالية، وهذا من
خلال الفئات الأربعة التي حددها وهي: المكافأة، الإعلام، الإجراء، والاحتفاظ،
هذا بالإضافة إلى 17 فئة فرعية أخرى تسمح بتحليل السلوكات اللفظية للأستاذ.

فإذا شجع التعبير الشخصي للتلميذ أو شجعه على التنظير فهو بذلك
يستعمل مقارنة غير مباشرة أو انعكاسية، وبالتالي فهو يتبنى الأساليب المرنة في
التعليم، فيصبح من وجهة نظره أستاذا فعالا، أما إذا ركز على مجرد إعطاء المعلومة
أو السؤال فإنه يستعمل مقارنة مباشرة أو بنائية، وبالتالي فدرجة المرونة في تعليمه
محدودة. (Lifa NE, 2002, p 84)

4_ أبحاث Altet(1994): من خلال أبحاثها عملت على جمع الوظائف التعليمية
للأستاذ حسب السلوكات اللفظية التي يؤديها خلال حصة تعليمية مصنفة إياها
كالآتي (Altet.M, 1994, P67)

— الوظائف الإعلامية: والتي تتعلق بتنظيم المحتوى.

— الوظائف التحفيزية: وهي التي تتعلق بتحفيز المتعلم.

— الوظائف التقييمية: تقييم على مستوى المهمة المحققة

— الوظائف التي تتعلق بضبط جو القسم

5_ الدراسة التي أجراها كل من Altet و Bressoux و Bru و Lambert
(1996_1994) بحيث توصلوا إلى تحديد أداة سميت بأداة التنظيم والتسيير

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

البيداغوجي والتي رتبت على أساسها تدخلات الأستاذ من خلال الأبعاد الآتية:
الإعلام، التقويم التنظيم، إثارة المتعلمين، وكيفية ضبط وتسيير الجو العام للقسم،
ومن بين النتائج التي توصلوا إليها بأن أغلبية التفاعلات تتم بمبادرة من الأستاذ
وهذا بنسبة 61 % بينما تمثل المبادرات الخاصة بالتلاميذ نسبة 31%
(Bressoux.P, Dessus.P,2003,P257)

رغم الاختلاف الموجود بين هذه الدراسات من حيث تصنيف وظائف
الأستاذ، إلا أنها حاولت بشكل أو بآخر رصد وتحليل سلوكاته اللفظية خلال
ممارسته الفعلية لمختلف النشاطات التعليمية، بالإضافة إلى إبراز أنماط التفاعلات
اللفظية التي تجري داخل القسم، وانعكاساتها على الفعالية البيداغوجية بصفة عامة.

الخلاصة

لتحقيق التعلم بشكل فعال من الضروري أن تكون المادة الدراسية المقدمة للتلميذ مشبعة لاحتياجاته وتطلعاته وميوله، مما يولد لديه الدافعية للتعلم والمشاركة الإيجابية في مختلف الأنشطة، وبالتالي تحفيزه على التفاعل بصفة إيجابية مع ما يقدم له من معارف ومهارات وأنشطة ومواقف تعليمية مختلفة.

إن التفاعل الذي ينشأ داخل القسم إذا والذي يشكل فيه الأستاذ المحرك الأساسي، يعتبر كنتيجة حتمية لمختلف العمليات الاتصالية التي تحدث بينه وبين تلاميذه، فالأستاذ في هذا المقام إذا رجل اتصال بالدرجة الأولى، ولكن العملية الاتصالية هنا لا تقتصر على مجرد نقل المعلومة إلى التلاميذ، وإنما تتعداها إلى أبعد من ذلك بحيث تصبح تلك العملية التي تساعد الأستاذ على معرفة مدى مساهمة رسائله البيداغوجية التي ينقلها إلى تلاميذه في تحسين مستواهم التحصيلي.

ولهذا السبب أكدت مختلف الأبحاث التي اهتمت بدراسة السلوك الاتصالي داخل القسم من خلال الملاحظة الموضوعية، على ضرورة خلق ذلك الجو الاتصالي الذي يسمح بتشجيع المشاركة الفعلية للتلاميذ، أو ما يسمى في حقل البيداغوجيا بمقاربة التعليم الغير مباشر، كما اهتمت من خلال تحديد المهام الوظيفية للتفاعلات اللفظية من تأكيد الروابط الأساسية بين الأنواع المتعددة للتغذية الراجعة ونجاح التلاميذ، كمؤشر هام من مؤشرات تقييم الفعالية التربوية.

التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام الأستاذ داخل الوضعية البيداغوجية —
أ.شلي نورة

قائمة المراجع

- 1_ محمد عبد الرحيم عدس، المعلم الفاعل والتدريس الفعال، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2000.
- 2- عبد الرحمن صالح الأزرق، علم النفس التربوي للمعلمين، دار الفكر العربي، لبنان، 2000.
- 3- رافدة الحريري، فاعلية الاتصالات التربوية في المؤسسات التعليمية، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.
- 4- محمد محمد عمر الطنوي، نظريات الاتصال، ط1، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2001.
- 5- محمد عوض الترتوري، محمد فرحان القضاة، المعلم الجديد، دليل المعلم في الإدارة الصفية الفعالة، ط1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
- 6- ميلود حبيبي، الاتصال التربوي وتدريب الأدب، دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق، بيروت، ط1، المركز الثقافي العربي، 1993.
- 7- نوال العشي، إدارة التعلم الصفّي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.

المجلات

- 8- فريد بياض، البيداغوجيا النشيطة وقلب الأدوار داخل الوضعية البيداغوجية، مجلة علوم التربية، العدد 44، المغرب، 2010.
- 9- محمد آيت موحى، العلاقة التربوية: طبيعتها وأبعادها، دفاتر التربية والتكوين، العدد 1، المغرب، 2009.

10- Altet.M, La formation des enseignants, PUF, Paris, 1994.

- 11- Arcand.R, Bourbeau.N, La communication efficace, De Boeck, 1998.
- 12- Balow.M , Le métier d'enseignant, Essai de définition, Economoca, Paris, 1999.
- 13- Bressoux.P, Dessus.P, stratégie de l'enseignant en situation d'interaction, PUF, Paris, 2003.
- 14- Cordié.A, Malaise chez l'enseignant, L'éducation confrontée à la psychanalyse, édition du seuil, Paris, 1998.
- 15- Gordon.T, Enseignants efficaces, Le hour éditeur, Canada, 1981.
- 16- Legendre.R, Dictionnaire actuel de l'éducation, Coll, le déficit éducatif, Coédition Montréal, édition Gévin, Paris, 1993.
- 17- Postic.M, De Ketele.J.M, Observer les situations éducatives, PUF, Paris, 1988.

Thèse

- 18- Lifa.N.E, Les stratégies d'enseignement développées par les enseignants du cycle fondamental lors de leur pratique de la classe, Thèse de doctorat d'état inédite en sciences de l'éducation, Université Mentouri Constantine, Soutenu 2002.